التلفونات المحمولة وشنط النساء تحمل جراثيم تصل إلى 20 ضعفاً من الموجودة في المراحيض

"عدوى المستشفيات" قاتل طليق

تحقيق / هشام المحيا

حياتنا في خطر.. ربما هذا هو التوصيف المناسب لحالة الإهمال اللامحدود للنظافة في المستشفيات ورداءة التعقيم الذي يجعل من الجراثيم والفيروسات جيوشاً فتاكة تتربص بمرتادي المستشفيات خاصة في غرف العمليات وما بعدها وفي مقدمة الضحايا الأطفال والشيوخ، الجهات المعنية تسد إحدى أذنيها بطين والأخرى بالعجين ولعبت دور "شاهد ما شافش حاجة" رغم التحذيرات التي يطلقها متخصصون... التفاصيل في التحقيق التالي:

28 مليار ريال قيمة المضادات الحيوية المستوردة في عام واحد

مستشفى واحد يستقبل 7200 إصابة بالعدوى سنويا والأطفال وكبار السن الأكثر تضرراً

في الوقت الـذي يعيش فيه العالم القرن الحادي والعشرين لا زالت بعض مستشفياتنا تعيش القرون الوسطى، فالمستشفيات في كل دول العالم أنشئت لتكون مصدرا للدواء وللرقي بصحة الإنسان حتى استطاع الأطباء أن يتغلبوا على أغلب الأمراض لا سيما القاتلة منها سواء كانت هذه الأمراض ناشئة عن وراثة أو عدوى أو غير ذلك، أما في اليمن "الجديد القديم" فبعض المستشفيات مصدرا للداء لا للدواء فبمجرد "إصابتك بمرض مـا، ستمنح الآخـر مجانا" ومن أقرب مشفى، وربما ستمنح أكثر من مرض وكأنك في معرض للملابس المـوسـمـيـة، كل هذا الكرم في توزيع الأمـراض يعود إلى الوضع المأساوي الـذي تعيشه مستشفياتنا المتخمة بالفيروسات والميكروبات المسببة لانتشار عدوى المستشفيات الأمـراض بأنواعها والتي تعرف طريقها جيدا إلى المرضى أو العاملين في المستشفى وحتى الزائرين حيث تتسبب هذه الظاهرة الصحية الخطيرة بإصابة المئات من اليمنيين أسبوعيا، فقد ذكرت دراسة يمنية حديثة ستعلن نتائجها قريبا أن نسبة الإصابة بالعدوى في المستشفيات باليمن تصل إلى 60% تقريبا، وقد أكد هذه النسبة الأرقام الصادرة عن قسم مكافحة العدوى في هيئة المستشفى الـجـمـهـوري بصنعاء حيث تـسـتـقـبـل الـهـيـئـة أ سبو عيا حـــوالي 150 حالة مصا بة بالعدوى أي (7200) حالة بمعدل سنوي، وهكذا في أغلب المستشفيات، وحسب بعض الدراسات فإن 80% مـن المصابين بالعدوى في اليمن يموتون بسببها، ولأن أهل الضحايا لا يعلمون السبب فلن تجد أحداً فيهم يبحث عن سبب الوفاة فقط سيلقون باللائمة على "القضاء والقدر" فهو المتهم الأول في انتزاع الأرواح من وجهة نظرهم، من جهة أخرى يحاول بعض الأطباء تسويق تبريرات من نوع وفاة بعض الناس في المستشفى عموما وغـرف العمليات يعود إلى "التلوث" وأحيانا يعللونها بـ"الخطأ الطبي" متناسين أن التلوث هو ذاته العدوى وأن الكثير من حالات الوفاة تحدث بسبب العدوى

مصادر العدوى

وبناء عـلى الأبـحـاث والـدراسـات الـعـالـمـيـة الـتـي اهـتـمـت بـعـدوى المستشفيات وتـحـذيـرات بعض الأطـبـاء في اليمن فـإن للعدوى المكتسبة في المستشفيات مصادر متعددة أبـرزهـا أن المستشفيات الموجودة لا تعمل كل ما ينقل العدوى، كذلك غياب النظافة الحقيقية عن المستشفيات والمـراكـز الطبية حيث يسبب غيابها تكاثر البكتيريا والجراثيم والفيروسات القاتلة بالذات في غرف العمليات وغرف المختبرات، ولهذا اهتمت دول العالم بنظافة المستشفيات لأن إهمالها يعد إعلانا رسميا لفتح باب القبول والتسجيل لكل أنواع الجراثيم والفيروسات في المرافق الصحية ومـن ثم السماح لها بالانتشار في أجساد المواطنين، وهذا ما ستلاحظه بنفسك ـ عزيزي القارئ ـ فعند زيارتك لمستشفيات بعض الـدول العربية فإنك سترى صورتك الشخصية في البلاط الموجود على أرضية المشفى من شدة النظافة، أما في بعض مستشفيات اليمن فلن ترى صورتك حتى على المرايا المعلقة على بعض جدرانها، وهذه المقارنة لم تنشأ من وحي الخيال ففي زيارتي لبعض المستشفيات والمراكز الطبية في أمانة العاصمة لاحظت ــ كغيري من المواطنين ـ مدى غياب النظافة التي عملت على انتشار الأمـراض بشكل كبير فأكياس القمامة مرمية عـلى أبـواب بعض المستشفيات والمراكز الصحية وفي الممرات داخل المستشفيات، كما استحدثت خدمة توصيل الأمراض وبدون ملاحقة وذلك عن طريق وضع "سـلات" القمامة بالقرب من أسرة المرضى، وأيضا عن طريق القطع القماشية الموجودة على الأسرة التي تغير لون بعضها من الأبيض إلى الترابي وذلك بفعل عوامل التعرية داخل المشفى أو المركز الطبي .

لم يكن غياب النظافة هو رأس المشكلة، فتعقيم الأدوات الصحية في الكثير من المستشفيات والمراكز الصحية الحكومية والخاصة يمشي "بالبركة" فلا مواصفات ولا مقاييس "ولا هم يحزنون"، علما بأن بعض أنواع البكتيريا والفيروسات تحتاج لاستخدام مقاييس محددة أثناء التعقيم للقضاء عليها وهذا الإهمال بالذات سهل من عملية إصابة الناس بالأمراض لا سيما الأمراض المعدية.

لم تنتهِ بعد قائمة مصادر العدوى، فقد ذكر الباحثون أن البيئة المحيطة كالهواء والمـاء والوجبات المُحضرة داخل المطبخ الخاص بالمستشفى عـامـل رئـيـس في صـنـاعـة المـوت للمواطنين، والملاحظ في مستشفياتنا أنه عند انقطاع مـشروع المـاء تلجأ إلى شرائه عبر ما يسمى بـ "الوايت" علما بأن مصدر هذا الماء غير آمن لأنه جاء من البئر غير المراقب ثم يصب في الخزان الخاص به دون معرفة ما إذا كان الخزان نظيفا أم لا، وهذا ما يعني أن هذا الماء سبب للعدوى، ملابس الأطباء والهواتف النقالة و"شنط" النساء تشارك في هذه المعمعة التي تنتصر لمملكة البكتيريا والفيروسات التي تهدد حياة اليمنيين، فقد أثبتت دراسة أمريكية حديثة أن واحدا من بين عشرين فرداً يدخلون المستشفى يصاب بالعدوى بسبب تلوث معاطف الأطـبـاء ومساعديهم ومقدمي الخدمات الطبية .

كما أثبتت دراسة أجريت في تركيا أن الهواتف النقالة التي يستخدمها المرضى والمرافقون والزائرون والعاملون في المستشفيات تحتوي على بكتيريا خطيرة تنتقل إلى الإنسان مسببة له أمراضاً خطيرة، وأثبتت دراسة أخرى أن حجم البكتيريا والجراثيم التي توجد في "شنط "النساء تصل إلى عشرين ضعفاً من البكتيريا الموجودة في المراحيض العادية، يذكر أن وسائل كثيرة تعمل على نقل الأمراض المعدية من مصادرها إلى الناس إلا أن أبرزها تتمثل في اليدين.. ففي كثير من الأوقات يقوم الأطباء بنقل العدوى من مريض إلى آخر بأيديهم بحملهم للبكتيريا والفيروسات لذا أقامت منظمة الصحة العالمية يوما عالميا لغسل اليدين، ومن تلك الوسائل الأدوات الطبية الملوثة التي تلامس جسم المريض كأنبوب التنفس وأنبوب التغذية أو قسطرة البول وكذا الأدوات المستخدمة في العمليات الجراحية أو المجارحة العادية أيضا تواجد البعوض والذباب في المستشفيات والمرافق الصحية حيث تقوم بنقل الأمـراض من شخص لآخر بالذات الأشخاص الذين أصيبوا بالحروق، إلى جانب ذلك كله يبقى التنفس والـرذاذ من أكـبر الوسائل الناقلة للعدوى من شخص مصاب إلى آخر سليم حسب إفادة عدد من الأطباء فـإن الأطفال وكبار السن هم أكثر عرضة للعدوى، كما أفادوا بأن غرف العمليات وغرف المجارحة والطوارئ هي أكثر الأماكن التي تعرض الإنسان للإصابة.

مغني جنب "أدور"

منذ العام 1995م والدكتور محمد الحيمي نائب عميد كلية الطب بـجـامـعـة صـنـعـاء والـطـبـيـب في مستشفى الشرطة العام، يحاول أن يـدق ناقوس الخطر الـذي تسببه الـعـدوى ولكن لا حياة لمن تنادي لذا قرر أن يطبق قواعد الوقاية من العدوى لوحده بعد أن بح صوته، فهو لم يفارق المعقم منذ حوالي عشرين عاما ويضيف: "وزارة الصحة لم تفكر يوما بحماية المواطن".

الدكتور إبراهيم يحيى الأخفش رئيس قسم مكافحة العدوى في هيئة المستشفى الجمهوري العام بصنعاء يقول: "إن عـدوى المستشفيات في اليمن مسألة صحية في بالغ الخطورة فهي في توسع مستمر وتعمل على حصد أرواح اليمنيين"، استغرب الدكتور الأخفش غياب وزارة الصحة عن مكافحة العدوى وبالتالي الوزارة تتحمل المسئولية، ويضيف: "نحن في المستشفى الجمهوري استشعرنا خطورة العدوى وقمنا بإنشاء قسم خاص لمكافحة العدوى ونحن الآن بصدد إنشاء نظام خاص لهذا الغرض إذا ما صدقت وعود بعض الجهات التي أعلنت دعمها لنا". وتابع: "أما في الوقت الحالي فنقوم بعمل محاضرات في جميع أقسام المستشفى لرفع الوعي عند الكادر الطبي، كما أبلغنا مركز الـطـوارئ العامة أنـه في حال استقبال أي حالة يشتبه في إصابتها بعدوى مرض ما، يتم الإبـلاغ عنها لاتخاذ الإجـراءات الطبية اللازمة". وقد أرجع الدكتور سبب تفشي ظاهرة العدوى في المستشفيات إلى عوامل عدة أبرزها غياب دور وزارة الصحة وغياب الوعي عند المواطنين والكادر الطبي في آن واحد.

أما الدكتور سيف الحيدري الذي يعمل في قسم المختبرات بمستشفى عـمـران فيدعم حـديـث الأخفش والحيمي ويؤكد على ضرورة قيام وزارة الصحة بمهامها في مكافحة العدوى لما تشكل من خطورة بالغة على حياة المجتمع.

وحـتـى لا تظلم وزارة الصحة بالاتهامات قمنا بزيارات متعددة إليها وكانت النتيجة أن الـوزارة مصابة بعدوى الإهمال الـذي يعم أغلب مؤسسات الدولة، وعلى الرغم من وجود إدارة لمكافحة العدوى فإن هذه الإدارة تراوح مكانها، لأسباب لا نعلمها .

مكانك سر

إن غياب الرقابة على المستشفيات فيما يخص العدوى وغياب التعقيم يهدد الأمـراض والتي بدورها تهدي الموت لآلاف اليمنيين سنويا - أطباء ـ مرضى ـ وزائرين للمستشفيات كما أن الخسائر لم تكن بشرية فحسب بل ومالية أيضا حيث بلغت قيمة المضادات الحيوية المستوردة لعام واحد فقط 28 مليار ريال من جهة أخـرى ونظرا لغياب الإحصائيات الرسمية لعدد الـحـالات المصابة بالعدوى لم يتمكن كاتب التحقيق من حصر عدد المصابين في الجمهورية واكتفى بالمستشفى الجمهوري ـ صنعاء ـ لقياس مدى انتشار هذه الظاهرة، لذا يتوجب على وزارة الصحة والمستشفيات والمراكز الصحية إقامة أقسام متخصصة لمكافحة العدوى مدعمة بكل الوسائل الحديثة، على الأقـل لتخفيف الضغط على مطار القاهرة وغـيره من المـطـارات التي تستقبل طائراتنا المسماة بـ "طائرة العيانين" وفي رواية "طائرة المرضى".

أطباء:

"اليدين" الوسيلة رقم واحد لنقل العدوى وغياب النظافة والتعقيم يجعلها مصدر الخطر

إحصاءات:

60% نسبة الإصابة بعدوى المستشفيات باليمن و80% من المصابين يموتون